فسيحة تسمّى « اشن » بناية دار العدل عندنا ويقف الامراء المذكورون حولهُ عن اليمين وعن الشمال على مقادير رتبهم ورأس الكتّاب المسمى « لنجون » (كذا) فاذا شكى احد شكوى او سأل حاجة اعطى قصّتهُ رأس الكتّاب فيقف عليها ثم يوصلها الى احد الاميرين اللذين يليانهِ وهما اصغر الكل فيقف عليها هو ومن معهُ ثم يوصلانها الى مَن يليهما في الرتبة وكذا الى ان تصير الى القان فيأمر فيها بما يراهُ. وذكر عن الشريف ابي الحسن الكربلاي وكان ممن اجتمع بالقان في هذه البلاد ان لهذا القان اربعة وزراء يصدرون الامر في المملكة كلها ولا يراجع القان الّا في القليل النادر. قال: واذا اراد القان ان يركب ركب في محفّة ولا يظهر للناس الّا في يوم واحد وهو مثل يوم مولدهِ في كل سنة فانهُ يركب فرساً ويخرج الى الصحراء ويعمل بها من الاطعمة والسماطات ما يعم الناس ويكون مثل يوم العيد عندهم

صفحة من تاريخ فرنسا

ردّ على مقتطف للاب لويس دي أنسلم اليسوعي

ظهر في المقتطف (تموز ١٩٠٠ ص٢٧) مقالة تحت هذا العنوان « لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت » اسرعنا الى مطالعتها لعلنا نجد ما تتاح اليهِ نفسنا من تاريخ فرنسة وطننا العزيز. لاسيما انّ الكاتب وعدنا « بان يكشف لنا النقاب عن الاسرار التي طمس عليها الدهر ». فما اشدّ ما كانت خيبة آمالنا اذ وقفنا على فصل اجدر بان يُنظم في سلك الخزعبلات بل في سياق الاكاذيب منهُ في سياق التاريخ الصادق

وقد ظنّ جناب المؤلف انّ كلامهُ يصيب وقعاً لدى قرّاء المقتطف بقولهِ انهُ « عثر في احدى المجلّات الانكليزيّة » على هذه الحكاية العجيبة كانّ كل ما تسطرهُ المجلّات الانكليزيّة من الحقائق الراهنة التي لا يمكن نقضها. ويا ليت الناقل كان دلّنا على اسم المجلة لنعرف مقامها بين المجلّات العلميّة واوقفنا على اسم المؤلف لنتبيّن ما هو عليهِ من التحقيق والتدقيق

ولعلّك تسأل ما هذه الحكاية؟ او ليست هي من الروايات الخياليّة والاقاصيص

الفرنسية التي يفكه بها المقتطف قرّاءه ؟ اجبنا اننا كنا ارتأينا مثل هذا الرأي لولا ان الكاتب حاول تأييد مزعمه بشواهد تاريخية من شأنها ان تخدع بعض السُذَّج وتبخس من حقوق احد ملوك فرنسة الافاضل الذين شرّفوا بلدهم بفضائلهم السامية ومناقبهم الفريدة وهو الملك لويس السادس عشر . بل كفى بهذه الصفحة لو صدقت ان تسوّد وجه هذا الملك . واننا نعلم انها لا تسوّد الّا وجه الحجة التي تثبت مثل هذه الروايات وهاك ملخّص هذه المقالة :

زعم كاتب المقتطف ان لويس السادس عشر لمّا رأى ما صارت اليه امور المملكة بمساعي اصحاب الثورة استدعى خفيةً الى قصر التويلري في باريس حدّادًا اسمهُ فرنسوا جامين (Fr. Gamain) واقتسرهُ على عمل مخبأة في جدار القصر ضمّنها الملك اوراقًا ورسائل تشهد على خيانته لشعبه « وتبيّن انّ لويس السادس عشر والملكة ماري انتوانت دعيا (كذا) الالمانيين والنمساويين لغزو فرنسة » (ص ٣٣) ولكن لئلاّ يُطلع جامين احدًا من رجال الجمهورية على هذا السرّ جازاهُ الملك جزاءه سنّمار فاشربتهُ ماري انتوانت قبل خروجه من القصر كأسًا مسمومًا . غير انهُ نجا من السمّ فتمكن بعد اسر الملك وزوجته في سجن التمپل (Temple) من اخذ ثاره منها فأطلع الوزير « رولان » على المخبأة وانكشف السر المكتوم وحُكم على الملك بالقتل كجرم . امّا جامين فجعلت لهُ الحكومة الثورية مرتبًا سنويًا قدرهُ الف فرنك قبضهُ الى سنة وفاته سنة ١٨٠٠

هذه خلاصة مقالة خليل افندي ثابت ألحقها الكاتب ببعض ملاحظات من شأنها ان تكذّب مؤرخي ترجمة الملك لويس وامرأته قال : « ولا بدع اذا نسبوا اليهما جميع الفضائل حتى انّ من يقرأ ما كتبتهُ هذه الفئة يخال انّ في فرنسة لذلك العهد جوقًا من الملائكة حلّ في التويلري موّلفًا من الملك والملكة واخصّائهما ومن تبقّى من سكان المملكة ابالسة وسفّاكو دماء »

كلّا يا جناب الكاتب المحقق ان كتبة ترجمتَي الملك لويس والملكة ماري انتوانت لم يكونوا كما تزعم فانهم يقرّون بما كان للملك ولقرينته من النقائص لكنّهم غلّبوا محاسنهما وفضائلهما على ما وقع في حياتهما من الخلل وليس ذلك كما ظننّ ابتداعًا منهم بل مراعاةً للحقّ ولو سكتوا هم لنطقت كل فرنسة بل العالم اجمع . قال في لويس معاصرهُ ملك بروسية فردريك الثاني عدوّ فرنسة : « انّ هذا الملك رجل عاقل معتدل

في كل مساعيهِ فيهِ من الصفات مع حداثتهِ ما يندر وجودهُ في الشيوخ المحنكين بالسياسة . فاهنئْ فرنسة بهِ وانمّنى لها ان تحصل دائماً على امثاله » . وان اردتَ لأُتيناك بشهادات كثيرين من اعداء لويس السادس عشر انفسهم يشهدون لهُ بالفضل . قال رولان الذي سعى بعدئذٍ بقتلهِ : « ان اعداء الملك لا يعرفونهُ . فهو رجل يطلب الخير لشعبهِ ومن قال فيهِ غير ذلك افترى عليهِ افتراء . لهُ سجايا طيبة ومعارف واسعة وعقل صائب وذاكرة عجيبة »

اما المؤرخون فكأنهم لسان واحد في الثناء على خلالهِ الحسنة مع كثرتهم واختلاف نزعاتهم واوطانهم واديانهم اليك اسماءهم : تيارس (Thiers) وكنتو (Cantu) ولاكريتل (Lacretelle) وغابور (Gabourd) وتان (Taine) واليسون (Alison) ونيتمان (Nettement) ودوروي (Duruy) . نعم انهم ينسبون الى الملك الخوَر وضعف العزيمة والتردُّد في الامور ونحن ايضاً نقرّ بذلك ولكن اين هذه التقائص مما كتبهُ في حقهِ مكاتب المقتطف اذ شنَّع عليهِ فقال (ص ٢٨) : « لم يكن الملك منطوراً على ما يقرّبهُ من رعيتهِ من الاخلاق فقد كان . . . خرق الرأي عنيداً في الصغائر جافياً يهلع فؤاده لذكر الثورة وكانت معاملتهُ لزوجتهِ سيئة . . . ولم يكن كريم الاخلاق » . فكل هذه الاوصاف تنافي الحقيقة بوجه مستقيم ولو اتينا بالشواهد على نقضها لما كفى كتاب ضخم ليجمعها كلها . ومن اعمال هذا الملك الشهيرة انهُ كفَّ استعمال العقوبة لدفع المجرمين على الاقرار بالحقيقة وأبطل بقايا الرقّ والعبودية في مملكتهِ وابتنى المستشفيات وجعل لكل مريض فيها فراشاً منفرداً واكثر من الصدقات لذوي البأساء والحاجات وأنشأ الشركات الخيرية لمساعدة الفقراء وفي شتاء سنة ١٧٧٦ لما اشتدَّ البرد القارس أرقد التيران في ساحات باريس وشوارعها العمومية ليصطلي بها الفقراء الى غير ذلك من الاعمال الخطيرة التي شُحنت بها كتب التاريخ ولم تَفُت احداً الا جناب خليل افندي ثابت

وما قلناهُ عن الملك لويس السادس عشر قُلهُ عن قرينتهِ ماري انتوانت فانَّ ائمة المؤرخين الصادقين كدي بوشان (de Bauchesne) ودي غنكور (de Goncourt) ودي فالو (de Falloux) وايبرت (Imbert) وبيره (Biré) اخذوا عليها ميلها الى الملاهي ونسبوا اليها خفة الطباع ولكنهم جميعاً يطنبون في محامدها وخصوصاً في لطفها ورقّة طباعها وعدلها وكرمها ويثنون على تقواها وصدق دخلتها وحبها لفرنسة وطنها

الثاني. امّا شجاعتها فبلغت الغاية القصوى اذ تحمّلت بصبر جميل كل المحن التي أحدقت بها وماتت ميتة الابطال كزوجها الملك وكلاهما يفتخر بطيب القلب لرجال الثورة اعدائهما

هـذا ما تراه في كل التواريخ حتى في تآليف المعادين للويس السادس عشر وقرينته. فانّ كان المقتطف او مكاتبوه وجدوا في زوايا المكاتب ما ينافي ذلك فليعلنوا به ونحن لا نأبى ان نبحث عن صحته ومعاذ الله ان نماحكهم في الباطل او نكابر الحقّ لنا او علينا

*

دَعنا الآن نعود الى جامين الحدّاد وما ادّعاه كاتب مقالة المقتطف من خيانة لويس السادس عشر لمملكته وتسليم هذا الملك لجامين المذكور متفقاً في ذلك مع قرينته ماري انتونت. فنقول ان في هذه القضيّة ثلاثة امور: (الاول) اصطناع خزانة سرّيّة في قصر التويلري اودع فيها لويس السادس عشر اوراقاً ورسائل مهمّة. (الثاني) كون هذه الرسائل تبيّن خيانة الملك لبس لمملكته واستدعاءهُ للالمانيين والنمسويين لغزو فرنسة. (الثالث) تسليم الملك والملكة لجامين

اعلم انّ (الامر الاول) لا خلاف فيه فانّ الملك لويس السادس عشر اصطنع لهُ سفطاً من الحديد (armoire de fer) اودعهُ اوراقهُ السرّيّة واستمان بحداد اسمهُ جامين ليجعل هذا السفط في خزانة في احد جدران قصره بحيث لا يطلع عليه بشر. وفي كل ذلك لا حرج على الملك فانّ لكل الملوك اسراراً يخفونها عن الغير لاسيما في ساعة الفتن والثورات لئلا يعبث بها اعداء الدولة. الّا انّ لويس السادس عشر خدع بجامين فكان يظنّهُ خلاًّ وفيًّا ولم يكن الّا صلًّا خفيًّا يطلب لسيده الموت وحيًّا. وقد اقرّ كاتب المقالة بذلك (ص ٢٨) حيث قال بتلطيف العبارة: انّ جامين «كان رجلًا فظّ الطباع غليظاً لا يميل الى الملك رغماً عن خدمته الطويلة لهُ» وانهُ «كان جمهوريًّا لم يخشَ المجاهرة بآرائه» وانهُ طاوع الملك في عمل السفط «رغماً عن شدّة نزعته الجمهوريّة وعدم احترامه للملكيّة (١)»

---

(١) كان جامين كتب فوق حانوت حدادته هذين البيتين وفيهما شاهد جلي على سوء اخلاقه وشراسة طباعه وشدّة بغضه للملوك:

Tyrans, tremblez que la foudre
Bientôt ne vous réduise en poudre.

امَّا (الامر الثاني) وهو انَّ سفط الحديد ضمَّنهُ الملك لويس السادس عشر رسائل واوراقاً تنبئ بخيانتهِ لمملكتهِ واستدعائهِ الالمانيين والنمسويين لغزو فرنسة فهو قول كاذب لا صحة لهُ البتة . والدليل على ذلك انَّ اعداء الملك بعد ان حبسوهُ في سجن التمپل مع كلّ اسرتهِ ردلهم جامين على سفط الحديد واطَّلعوا على كل اسرار الملك لم يجدوا ما كانوا يتوقَّعون من الشواهد ليتمكَّنوا من قتلهِ قتلاً شرعياً ولذلك صرخ دانتون الدُّ اعداء لويس السادس عشر : « لا نريد محاكمة الملك بل قتلهُ »

وهنا فليأذن لنا جناب الناظر ان ننسخ لهُ فقرة ألحقها المقتطف بمقالتهِ (ص ٣٤) تفند زعمهُ . قال المقتطف :

« فصَّل المؤرخ أليسون الذي كتب تاريخهُ سنة ١٨٣٣ هذه الحادثة نقلاً من مُنيه ولاكراتل وتيرس الذين كتبوا بعيد الثورة فقال ان الملك رضي بمحاربة النمسا والمانية مكرهاً (من وزرائهِ) وعلم انَّ شعبهُ سيطالبهُ بذلك بعد انقضاء الحرب ولاسيما اذا عادت عليهم بالخسران فكتب آراءهُ ضدَّ الحربِ وجعل وزراءهُ كلهم يعضونها ووضعها في هذه الخزانة ووضع معها كلّ الاوراق الرسمية التي بحسب اظنّها تبرئهُ من كلّ تهمة اذا سيق الى المحاكمة كما كان يتوقَّع فافشى هذا الحدَّاد (جامين) سرَّهُ وفُتحت الخزانة فلم يوجد فيها شيء يثبت عليهِ الخيانة لبلادهِ بل بالضدّ من ذلك وُجدت فيها اوراق تدل على اتِّفاق وزرائهِ معهُ في كلّ اعمالهِ . وقد اذاع وزيرهُ رولان سرّ هذا (كذا) الاوراق حاسباً انَّ الملك يتبرَّأ باذاعتها فكانت سبباً لهلاكهِ »

فهذا كلام مؤرِّخ منصف صادق عليهِ المقتطف . ولكن أما كان الاحرى بصاحب هذه الحجَّة الَّا ينشر مقالة صديقهِ خليل افندي ثابت وهو يعرف انها كذب محض لا صحَّة لها . فليعرف القرَّاء من هذا التناقض حسن مبادئ المقتطف وحرصهُ على الحقيقة

بقي (الامر الثالث) وهو تسميم الملك لويس السادس عشر وقرينتهِ ماري انتونت للحداد جامين لئلا يُطلع هذا احداً على سرّ الخزانة وسفط الحديد . ولكن هل بقي لاحد شبهة في هذا الصدد بعد ان وقفنا على صدق لهجة كاتب المقتطف وسعة معارفهِ التاريخيَّة . وان كانت الخزانة السرِّيَّة لم تتضمَّن شيئاً يثبتُ بخيانة الملك كما سبق فيا ترى ما الحاجة للملك ولقرينتهِ الى تسميم جامين وهما يعدَّانهِ عبداً امينا ولم يستخدماهُ في عمل سيّئ يوجب عليهما ملاماً

ثمَّ اي صاحب عقل يصدّق مثل هذه الحكاية ويفتي بصحَّتها مع ما نعلم من شهامة طباع الملك لويس وقرينتهِ وما خصَّهما الله بهِ من جودة الاخلاق الشريفة والفضل

السامي الذي يقرّ لهُ اعداؤهما . او كيف خطر على بالهما ان يسمّيا رجلًا يكون موتهُ اقوى حجّة على قتلهما في ساعة كان اهل الثورة يطلبون لذلك سبباً خفيفاً دون ان يجدوهُ . ولو ارادا قتلهُ لفعلا ذلك خفيةً بيد احد الخدم او الجند ولم يدعا جامين يخرج من القصر بعد تسميمهِ بسمّ ذعاف

وان قيل انّ جامين ادّعى انهما سمّاهُ . اجبنا انّ دعوى رجل واحد لا تُقبل في اي شريعة كانت فما قولنا في شكاية رجل اقرّ كاتب المقتطف بمخابجهِ وشراسة اخلاقهِ وخيانتهِ للملكة

ثمّ انهُ لامر معلوم انّ جامين لم يتظلّم من تسميم الملك والملكة له الّا بعد قتلهما بستّة اشهر فما له سكت عن هذه الفظيعة لاوّل مرّة بعد ان كشف سرّ سقط الحديد اذ كان لويس وقرينتهُ في الحبس . أفلا يظهر من سكوتهِ قبل وفاتهما انّ شكايتهُ محض اختلاق لا وجه لها من الصحة وانّما اراد فقط ان يكتسب راتباً سنويًّا يعيش بهِ

واغرب من ذلك ان الكتبة اعداء لويس السادس لم يجسروا حتى بعيد هذه السعاية ان يدوّنوا خبر تسميم جامين في كتبهم لعلمهم بكذبهِ فبقي السرّ مكتومًا حتى اطّلع عليهِ « في مجلة انكليزيّة » الكاتب الجيد خليل افندي ثابت فزيّن بهِ صفحات المقتطف

فيا لله من مؤرخين مدقّقين لا يخجلون ان ينقلوا الى شرقنا العزيز كلّ اكاذيب البلاد الغربيّة وهم يزعمون انّهم يعلّمون بيننا النور ويهذّبون الاخلاق وليسوا في الحقيقة الّا مفترين وللفساد ناشرين

الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ

للشاب الاديب والكاتب المحقق الشيخ سليم خطّار الدحداح

٢ شباب الكونت دحداح الى سنة زيجتهِ

رُشيد موضوع كلامنا في هذه المقالة هو ابن الشيخ غالب ابن الشيخ سلّوم(١

---

١) قد مرّ في المشرق ذكر الشيخ سلوم بن موسى بن يوسف سليل الكهنة السبعة الذين منهم آل الدحداح . وخلّف سلوم ثلاثة اولاد وهم منصور (راجع المشرق ص ٣٩٣) وبشير الذي توفي سنة ١٨٣٩ عن ولدين ماتا دون عقب . وغالب ابي الكونت وقد توفّي سنة ١٨٦٠